جامعة فؤاد الاول

# مجلة كلية الآداب

المجلد السابع

يوليه ١٩٤٤

# إنتشار الاسلام فى الهنـــد

بقـــلم

حسن ابراهيم حسن

---

تناول كثير من المؤرخين الأقدمين والمعاصرين الكلام على غزوات المسلمين فى الهند، وأفاضوا فى ذكر الحروب والحملات، وما أتاه أمراء المسلمين من الأعمال السياسية، على حين لم يعنوا ببحث أثر هذه الغزوات من الناحية الاجتماعية؛ كما أنهم لم يتركوا لنا شيئاً ذا غناء عن انتشار الاسلام فى هذه البلاد، اللهم إلا ما يذكر من الأقاصيص التى تدور حول ما أتاه هؤلاء الفاتحون من ضروب البطولة والاقدام. فالتاريخ لم يضن علينا بهذه الأحاديث المحلية التى تناقلتها الألسن، كما أمدنا بسير أئمة المسلمين ودعاتهم الذين ساهموا بنصيب وافر فى نشر الاسلام بين أهالى هـذه البلاد، وما بذله سلاطين المسلمين من الجهود الجبارة فى سبيل نشر هذا الدين، وبخاصة ما قام به محمود الغزنوى وأورانجزيب Aurangzeb وغيرهما من السلاطين. ويقسم السير توماس أرنولد فى كتابه «الدعاية الاسلامية»(١) الجماعة الإسلامية فى الهند إلى طوائف ثلاث:

الأولى: طائفة المسلمين الذين رحلوا إلى هذه البلاد ونشروا الاسلام فيها. وقد جاءوا من البلاد الواقعة شمال غربى الهند واستوطنوا إقليم السند والبنجاب؛ وبعضهم من بقايا الجيوش الاسلامية التى أغارت على هذه البلاد فى أزمنة مختلفة، أو من أعضاء الطبقة الأرستقراطية الذين أقاموا فى أعالى الهند أو فى جزء من هضبة الدكن.

الثانية: طائفة الهنود الذين كانوا يدينون بأديان مختلفة ثم اعتنقوا الاسلام.

---

(١) T. W. Arnold: The Preaching of Islam, p. 255.

الثالثة : طبقة المسلمين الذين جاءوا إلى هذه البلاد من البحر ونزلوا الساحل الغربي وهم من أصل عربي .

ويسكن السواد الأعظم من مسلمى الهند فى إقليم البنجاب وما يجاوره . وكثير من هؤلاء المسلمين من أصل أجنبي ينتمون إلى قبائل ليست من السكان الأصليين ، ويلقبون بألقاب لم تكن تعرف فى بلاد الهند قبل مجيئهم إليها ، مثل شيخ وسيد وبك وخان . بيد أن الجمهور الأعظم من هؤلاء المسلمين من سكان البلاد الأصليين الذين اعتنقوا الاسلام ، واندمجوا فى الطبقة الارستقراطية الاسلامية ، واتخذوا ألقاب هؤلاء الذين أسلموا على أيديهم[١] .

ولم يكن إسلام سكان الهند الأصليين الذين اعتنقوا الاسلام راجعاً إلى القوة والعنف ، وإنما دخلوا فى هذا الدين طوعا واختياراً[٢] .

وترجع حملات المسلمين على بلاد الهند إلى عهد بعيد ، فقد أرسلوا أولى حملاتهم بعد أن انتقل الرسول إلى جوار ربه بخمس عشرة سنة . ومن ثم أخذ سيل العرب يتدفق على هذه البلاد إلى القرن الثامن عشر الميلادى ، واستقر بعضهم فيها ، وكونوا ممالك كان لها أثر يذكر فى تقدم الحضارة الاسلامية .

يقول البلاذُرى[٣] : « ولى عمر بن الخطاب رضى الله عنه عثمان بن أبى العاص الثقفى البحرين وعمان سنة خمس عشرة للهجرة ، فوجه أخاه الحكم إلى البحرين ، ومضى إلى عمان فأقطع جيشا إلى تانة . فلما رجع الجيش كتب إلى عمر يعلمه ذلك فكتب اليه عمر : يا أخا ثقيف حملتَ دوداً على عود ، وإنى أحلف بالله أنْ لو أصيبوا لأخذت من قومك مثلهم . ووجه ( عثمان بن أبى العاص ) الحكم أيضاً إلى بروص ، ووجه أخاه المغيرة بن أبى العاصى إلى خور الدَّيْبل ( على الساحل الغربي لبلاد الهند ويعرف الآن باسم كراتشى ) فلقى العدو فظفر » .

(١) راجع عن الاسلام والمسلمين فى الهند L. Massignon : Annuaire du Mond Musulmane (Paris, 1925), pp. 288 et seq.

(٢) Arnold : The Preaching of Islam, p. 255.

(٣) كتاب فتوح البلدان ص ٤٣٨ .


التبت
الأفغان
الغور
الدولة الغزنوية
١١٩٦
بنجاب
١٠٠١
الدولة الغورية
١١٩٦ — ١٢٠٦
السند
راجبوتانا
مالوا
بنغاله
بيهار
كوندوان
جوجرات
خاندش
أريسه
بحر العرب
الحدود الجنوبية لامبراطورية المغول عام ١٦٠٠
خليج بنغاله
سيلان
الدول الإسلامية في الهند
١٠٠١ - ١٧٥٧ م
لبيان انتشار الإسلام

فلما ولى عثمان بن عفان الخلافة ولى عبد الله بن عامر العراق ، وأمره أن يوجه إلى الهند رجلا يستطلع أخبارها ويصفها له ، فوجه حكيم بن جَبَلة العبدى، فلما رجع وصفها له . ولم يغز هذه البلاد أحد حتى سنة ٣٩ ﻫ حين وجه على بن أبى طالب اليها حملة بقيادة الحارث بن مرة ، فغنم كثيراً من الغنائم والأسرى . ثم قتل سنة ٤٢ ﻫ بأرض القيقان من بلاد السند مما يلى خراسان . وفى عهد معاوية بن أبى سفيان غزا بلاد السند المهلب بن أبى صُفرة فى سنة ٤٤ ﻫ ، وامتدت فتوحه إلى الأراضى الواقعة بين كابل والملتان . ثم امتدت فتوح المسلمين فى هذه البلاد فشملت البوقان والقيقان والديبل . وفى عهد الوليد بن عبد الملك ( ٨٦—٩٦ ﻫ ) عهد الحجاج بن يوسف الثقفى إلى محمد بن القاسم فى غزو بلاد الهند ، فسار اليها سنة ٨٩ ﻫ ، وحاصر ثغر الديبل وفتحه عنوة وبنى به مسجداً ، ثم سار إلى بيرون فاستقبله أهلها استقبالا حسنا ، وأدخلوه مدينتهم ووفوا بالصلح .

واصل محمد بن القاسم فتوحه فى هــذه البلاد حتى بلغ نهر السند ، وكان يعرف اذ ذاك باسم نهر مهران ، وهنا التقى بداهر ملك السند ، وكان هو وجنده يقاتلون على ظهور الفيلة ، فاقتتلوا قتالا شديدا انتهى بقتل داهر وهزيمة أصحابه . وذكر المدائنى أن الذى قتله رجل من بنى كلاب ، وقال يصف كيفية قتله :

الخيلُ تشهد يوم داهر والقَنَا — ومحمد بن القاسم بن محمد
أنى فرجتُ الجمع غير مُعَرِّد — حتى علوتُ عظيمهم بمهنَّد
وتركته تحت العجاج بجدَّلا — مُتعفرَ الخدين غير موسَّد[1]

بذلك استطاع محمد بن القاسم أن يمد فتوحه فى كافة أرجاء بلاد السند ، ثم تابع هذه الفتوح حتى وصل الى الملتان ودخلها[2] . على أن مؤن المسلمين قد نفدت وكادوا يهلكون جوعا وعطشا ، حتى اضطروا الى أكل الدواب . وقتل محمد بن القاسم سدنة البدّ ، وهو مكان عبادتهم ، ويشبه كنائس النصارى وبيع اليهود . ويقول البلاذرى[3]: « وكان بد الملتان بدا تهدى اليه الأموال وتنذر له النذور ، ويحج اليه السند فيطوفون به

(١) البلاذرى ص ٤٤٣ — ٤٤٤ .
(٢) Muir: The Caliphate, Rise, Decline and Fall, p. 353
(٣) ص ٤٤٥ .

ويحلقون رءوسهم ولحاهم عنده ، ويزعمون أن صنما فيه هو أيوب النبي صلى الله عليه وسلم » . والمولتان أو الملتان مركز مشهور للحجاج من الهنود فى جنوب بلاد البنجاب . قال ياقوت فى معجمه : « وبها صنم يعظمه الهند ، وتحج اليه من أقصى بلدانها ، ويتقرب إلى الصنم فى كل عام بمال عظيم ينفق على بيت الصنم والمعتكفين عليه منهم . وسمى المولتان بهذا الصنم . وقد ألبس جميع بدنه جلداً يشبه السختيان الأحمر لا يبين من جثته شيء إلا عيناه . وعيناه جوهرتان وعلى رأسه إكليل ذهب ، وهو متربع على ذلك السرير ، وقد مد ذراعيه على ركبتيه ، ويسمى العرب المولتان فرج بيت الذهب ، لأنها فتحت فى أول الاسلام ، وكان بها ضيق وقحط ، فوجدوا فيها ذهباً كثيراً فاتسعوا به » [١] .

ولما ولى عمر بن عبد العزيز الخلافة ( ٩٩ — ١٠١ ﻫ ) كتب الى الملوك والأمراء يدعوهم إلى الإسلام ، ووعد بأن يقرهم على ما بأيديهم ، وأن يكون لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم « وقد كانت بلغتهم سيرته ومذهبه ، فأسلم حليشة بن داهر والملوك وتسموا بأسماء العرب » وغزا عمرو بن مسلم الباهلي عامل عمر بن عبد العزيز بعض بلاد الهند [٢] . وفى عهد هشام بن عبد الملك ( ١٠٥ — ١٢٥ ﻫ ) خرج المسلمون عن بلاد الهند . ثم ولى الحكم بن عوانة الكلبي « وقد كفر أهل الهند إلا أهل قصة ، فلم ير للمسلمين ملجأ يلجئون اليه ، فبنى من وراء البحيرة مما يلى الهند مدينة سماها « المحفوظة » ، وجعلها مأوى لهم ومعاذا ومصّرها » [٣] .

ولما قامت الدولة العباسية ولى أبو جعفر المنصور ( ١٣٦ — ١٥٨ ﻫ ) هشام بن عمرو التغلبي بلاد السند . وفى عهده فتحت بلاد قشمير والملتان ، وكانت قد انتقضت ، وهدم البد وبنى فى موضعه مسجدا . وقد تقدمت هذه البلاد فى عهد ولايته واستقر بها الأمن وتوطدت أركانه [٤] .

---

(١) انظر لفظ المولتان فى معجم البلدان لياقوت .
(٢) البلاذرى ص ٤٤٦ — ٤٤٧ .
(٣) المصدر نفسه ص ٤٤٨ — ٤٤٩ .
(٤) المصدر نفسه ص ٤٤٩ — ٤٥٠ .

وفى عهد الخليفة المهدى العباسى (١٥٨ — ١٦٩ هـ) غزا المسلمون بلاد الهند فى سنة ١٥٩ هـ، وحاصروا مدينة باربد بالمنجنيق وفتحوها عنوة، وأشعلوا النار فى تمثال بوذا. على أن هذه الغزوة كانت كارثة على جند العباسيين؛ فقد فشا الموت فيهم حتى مات منهم أكثر من ألف، ودمرت الزوابع سفنهم فى الخليج الفارسى، وغرق كثير من الجند. وما زالت فتوح المسلمين تتسع فى بلاد السند والهند فى عهد الخليفة العباسى المأمون (١٩٨ — ٢١٨ هـ)؛ وفى عهد أخيه المعتصم (٢١٨—٢٢٧ هـ) انتشر الاسلام فى البلاد الواقعة بين كابل وقشمير والملتان. وفى ذلك يقول البلاذرى: « إن بلداً يدعى العيسفان بين قشمير والملتان وكابل كان له ملك عاقل. وكان أهل ذلك البلد يعبدون صنماً قد بنى عليه بيت وأبدوه. فمرض ابن الملك، فدعى سدنة ذلك البيت فقال لهم: أدعوا الصنم أن يبرئ ابنى. فغابوا عنه ساعة ثم أتوه فقالوا: قد دعوناه وقد أجابنا الى ما سألناه؛ فلم يلبث الغلام أن مات. فوثب الملك على البيت فهدمه، وعلى الصنم فكسره، وعلى السدنة فقتلهم. ثم دعا قوما من تجار المسلمين فعرضوا عليه التوحيد، فوحّد وأسلم. وكان ذلك فى خلافة أمير المؤمنين المعتصم بالله رحمه الله »(١).

= = =

اصطبغت بعض حملات المسلمين بصبغة الجهاد الدينى، ولا سيما هذه الحملات التى قام بها كل من محمود الغزنوى (٣٨٨ — ٤٢١ هـ = ٩٩٨ — ١٠٣٠ م) وتيمورلنك التترى. فقد ورث محمود الغزنوى مملكة أبيه سُبُكْتَكِين الصغيرة، ولكنه ما لبث أن أزال الدولة السامانية. وغزا بلاد الهند اثنتى عشرة مرة (١٠٠١ — ١٠٢٤ م). وقتل كثيراً من عبدة الأوثان، وهدم كثيراً من الهياكل، وضم بلاد البنجاب وبلاد الغُور(٢) (١٠١٢ م). وبلاد ما وراء النهر (١٠١٦ م)، واستولى على أصبهان من أيدى بنى بويه(٣). ولا بأس أن نأتى بقصة هاردتا Hardatta أحد ملوك الهند وزعيم بولندشهر Bulandshahr(٤). فقد روى سكرتير محمود الغزنوى أن هاردتا لما اتصل

---

(١) البلاذرى ص ٤٥١ .

(٢) بضم أوله وسكون ثانيه وآخره جبال وولاية بين هراة وغزنه .

(٣) Browne, Literary History of Persia, vol. I. p. 376.

(٤) أوبران وهو الاسم القديم .

بمسامعه نبا وصول جيوش محمود إلى باربا Barba حول سنة ٤١٠ هـ (١٠١٩ م) سقط في يده ، وأخذ الفزع والهلع من نفسه كل مأخذ ، وخشى على حياته من عقاب الله ، ولم ير بدآ من اعتقاد الاسلام ، إذ رأى أن هذا الدين يحوطه سياج متين من قوة الله سبحانه وتعالى .وسرعان ما تقدم على رأس عشرة آلاف من رجاله ، وأعلنوا للفاتحين رغبتهم في التحول عن دينهم القديم إلى الاسلام ومناصبة الكفار العداء (١) .

يقول الأستاذ ولسلى هيج Cambridge History of India (Cambridge, 1928 Vol. III, pp. 26—7. : « يمكننا إلى حد ما أن نعتبر محمود ( الغزنوى ) سلطانا هنديا خالصاً . فقد فتح في خريف حياته إقليم البنجاب ، ونشر الإسلام في ربوع الهند وافتتح طريقاً سلكه بعده كثيرون ؛ وقنع خلفاؤه ، بعد أن جردوا من أملاكهم في فارس وأفغانستان وبلاد ما وراء النهر ، بحكم إقليم البنجاب ، وكونوا أسرة هندية خالصة » .

ويقول ستانلى لينپول(٢) « إن حملات الغزنويين في بلاد الهند ، واتخاذهم لاهور مقراً لهم ، يمكن اعتباره بدء حكم المسلمين الحقيقي في هذه البلاد . فقد مهدت الدولة الغزنوية في لاهور السبيل أمام محمد بن سام الغورى (٣) وخلفائه الذين تولوا سلطنة دلهى ، والذين نشروا نفوذ المسلمين في كافة أرجاء بلاد الهند الشمالية(٤) .

وقد وضعت غارات المغول بقيادة بابر Babar حداً للانقسامات التي أضعفت مملكة دلهى في أواخر عهدها ، واستطاع « أكبر » حفيد بابر أن ينظم أمبراطورية المغول العظام التي بقيت إلى هذا الوقت .

وقد نقل الأستاذ براون(٥) عن كتاب ظفر نامه Zafar - nama للمؤرخ الفارسى

---

(١) Arnold : The Preaching of Islam, pp. 256—57

(٢) The Muhammadan Dynasties, p. 284.

(٣) حكمت الدولة الغورية بلاد أفغانستان وهندستان من سنة ٥٤٣ هـ (١١٤٨م) الى سنة ٦١٢هـ (١٢١٥ م) .

(٤) Ishwari Prasad : Inde du VII^e au XVII^e Siècle, p. 84 et suiv.

(٥) Lit. Hist. of Persia, vol. III. p 193-4

شرف الدين على يزدى (١) أن تيمور بعد أن ولى ابنه شاه رخ Shah Rukh مملكة خراسان وسستان Sistan ومازندران من فيرزكوه Firuzkûh إلى الرى فى شهر مايو سنة ١٣٩٧ شرع فى ربيع سنة ١٣٩٨ فى غزو بلاد الهند . ومن بين العوامل التى دفعت تيمور إلى تحقيق هذه السياسة رغبته فى نشر الاسلام ، والقضاء على الوثنية فى هذه البلاد ، وما بلغه من تسامح أمراء المسلمين لرعاياهم وجيرانهم من وثنيي الهنود .

وبعد أن حارب تيمور الأفغان وعلى رأسهم سليمان كوه Sulayman Kûh وسياه پوش Siyah-Push حاكم كافرستان الذى اتخذ السواد شعارا له فى عدة مواقع ، عبر السند فى ١٢ المحرم سنة ٨٠١ ﻫ ( ٢٤ سبتمبر سنة ١٣٩٨ م ) . وتقدم إلى بلاد الهند ، وأعمل السيف فى أهلها ، وأشعل النار فى أرجائها . ويقول الأستاذ براون(٢) : « إن حملات تيمور امتازت كحملاته السابقة بأهدار الدماء . وكان أشد هذه الأعمال وأقساها تلك المذبحة التى ذهب ضحيتها مائة ألف أسير قرب دلهى فى ١٢ ديسمبر سنة ١٣٩٨ م . وإن هذه الفظائع التى ارتكبت بعد أن فتحت مدينة دلهى بأيام . وما كان من ذبح عشرة آلاف شخص فى مدينة بتنير Batnir قبل ذلك بشهر واحد — كل ذلك لا يقل هولا إذا ما قورن بهذه الجريمة الشنيعة » .

أما تيمورلنك فقد كتب فى مذكراته بعد أن استولى على دلهى : « قضيت فى دلهى خمسة عشر يوماً بين رجال البلاط ، أقيم الأسمطة والحفلات ، وأنعم بألوان من الأبهة والترف والنعيم . ثم ذكرت أننى قمت بهذه الحملة وأتيت إلى بلاد الهند لأشن الحرب على الكفار ، وأنشر الاسلام فى هذه الديار . وقد بارك الله هذه الحملة فجعل النصر حليفى والظفر يتبعنى . ولقد فللت شوكة أعدائى ، وقتلت الكفار ، وحطمت الأصنام ، وخضبت سيفى من دماء أعداء الدين . والآن ، وقد تم لى هذا النصر المبين ، أشعر أنه

(١) طبع هذا الكتاب فى كلكتا فى جزئين (فى مجموعة Bibhiotteca Indica (١٨٨٧—١٨٨٨) . وقد أسرف شرف الدين فى مدح تيمور الذى وضع هذا الكتاب تحت رعايته (وقد ترجم هذا الكتاب الى الفرنسية مسيو Mercier de la Petit Croix ) . وممن كتب فى أخبار تيمور أحمد بن عربشاه الذى كتب كتابه « عجائب المقدور فى أخبار تيمور » ( ليدن سنة ١٨٣٦م وكلكتا سنة ١٨١٨م ، والقاهرة سنة ١٢٨٥ﻫ) فى لهجة شديدة .

(٢) Browne, Literary History of Persia, vol. III. pp. 193—4.

لا يحق لى أن أركن إلى الراحة ، بل لابد لى من أن أواصل الحرب على أهالى الهندستان الكفار تلبية لداعى الدين »(١) .

* * *

ولقد سار على سياسة تيمورلنك فى نشر الاسلام فى بلاد الهند من جاء بعده من الفاتحين ، فكسرت الأصنام وخربت المعابد ، وبنيت المساجد بدلا منها . ولم يتردد فريق ممن اعتقدوا الاسلام من أهل السند فى التحول الى دينهم القديم كلما سنحت لهم الفرصة . فانه لما غزا قطب الدين أيبك بولندشهر سنة ١١٩٣م ، قام فى وجهه أحد أحفاد « هاردتا » وهو الراجا شاندراسن Chandrasen ، وكان متعصباً شديد التعصب للديانة الهندوكية ، حتى إنه لم يعد للاسلام من أثر فى بلاده .

بيد أن رغبة بعض أولئك الفاتحين الحقيقية لم تكن التفانى فى نشر الاسلام ، فان بعض الدول التى تولت الحكم فى هذه البلاد لم تعمل عملا صادقاً على نشر هذا الدين ، كما عملت أسرة الخلجى ( ٦٨٩ — ٧٢٠ هـ = ١٢٩٠ — ١٣٢٠ م ) . وكان علاء الدين محمد شاه الخلجى من أعظم سلاطين هذه الأسرة ، وكان يتفقد أمور رعيته بنفسه (٢) .

كذلك عملت أسرة محمد بن تغلق ( Tughliqs ١٣٣٠ — ١٤١٢ م ) الذى جعل بلاد الهند مركزاً من مراكز الحضارة الاسلامية على نحو ما كانت عليه مصر فى عصر المماليك . فقد كان من أهم مظاهر سياسته ترحيبه بمن وفد على بلاده من المسلمين ومبالغته فى إكرامهم . ولا غرو فقد كان مسلماً يميل إلى تطبيق قواعد الاسلام ، وأشربت نفسه حب الاسلام والمسلمين . ويقول السير توماس أرنولد(٣) « كان محمد مسلماً تقياً مواظباً على أداء الفرائض الدينية ، وكان لا يشرب الخمر ، دائباً على اتباع تعاليم الاسلام . وقد جلس على العرش ثمان عشرة سنة ؛ ثم بدأت تساوره الشكوك حول أحقيته للحكم لعدم حصوله على تفويض من الخليفة العباسى يجعل هذا الحكم شرعياً . ومن ثم أخذ يستعلم من عدد كبير من الرحالة الذى وفدوا على بلاده ، ووقف منهم على أنه كان فى

---

(١) Elliot : The History of India, as told by its own historians (vol. II. p. 448). The Muhammadan Period. Edited by Prof. John Dowson (London, 1872—7).

(٢) راجع ما ورد فى رحلة ابن بطوطة عن السلطان علاء الدين محمد شاه الخلجى (جـ ٢ ص ٢٦) ، وعن السلطان أبى المجاهد محمد شاه ابى السلطان غياث الدين تغلق شاه ( جـ ٢ ص ٣٤ — ١٠٥ )

(٣) Arnold : The Caliphate, p. 104

مصر خليفة عباسى يلقب المستكفى ، وتبادل معه الرسائل . ولما وصل من قبل هذا الخليفة رسول يحمل تفويضاً بحكم محمد بن تغلق ، بالغ هذا فى استقباله ، وأحله من نفسه محل الاحترام والتعظيم . وأمر بذكر اسم الخليفة فى الخطبة ونقشه على السكة ، وأرسل اليه الهدايا النفيسة » .

ويصف لنا ابن بطوطة (١) قدوم رسول الخليفة العباسى الى ابن تغلق فيقول: « وكان السلطان قد بعث هدية الى الخليفة بديار مصر أبى العباس ، وطلب منه أن يبعث له أمر التقدمة على بلاد الهند والسند ، اعتقاداً منه فى الخلافة ، فبعث اليه الخليفة أبو العباس ما طلبه مع شيخ الشيوخ بديار مصر ركن الدين . فلما قدم عليه بالغ فى اكرامه ، وأعطاه عطاء جزلا ، وكان يقوم له متى دخل عليه ويعظمه » .

وكان محمد بن تغلق يرحب بالسفراء والرحالة والتجار من المسلمين الذين يفدون اليه ويحبب اليهم الاقامة فى بلاد الهند ، حتى لقد أصبحت مدينة دلهى قريبة الشبه ببغداد فى أيام العباسيين من حيث اجتذاب العناصر الاسلامية من مختلف الأمصار . ويؤيد هذا ماذكره ابن بطوطة(٢) عن وصف موكب السلطان محمد بن تغلق فى عيدى الفطر والأضحى :

« وإذا كانت ليلة العيد ، بعث السلطان إلى الملوك والخواص وأرباب الدولة والأعزة والكتاب والحجاب والنقباء والقواد والعبيد وأهل الأخبار ، الخلع التى تعمهم جميعاً . فاذا كانت صبيحة العيد زينت الفيلة كلها بالحرير والذهب والجواهر ، ويكون منها ستة عشر فيلا لايركبها أحد ، إنما هى مختصة بركوب السلطان ، ويرفع عليها ستة عشر شطراً ( جتراً ) من الحرير مرصّعة بالجواهر قائمة ، كل شطر منها ذهب خالص ، وعلى كل فيل مرتبة حرير مرصّعة بالجواهر . ويركب السلطان فيلا منها . وترفع أمامه الغاشية وهى ستارة سرجة ، وتكون مرصعة بأنفس الجواهر . ويمشى بين يديه عبيده ومماليكه . وكل واحد منهم تكون على رأسه شاشية ذهب ، وعلى وسطه منطقة ذهب ، وبعضهم يرصعها بالجواهر . ويمشى بين يديه أيضا النقباء ، وهم نحو ثلثمائة ، وعلى رأس كل واحد منهم أقروف ذهب ، وعلى وسطه منطقة ذهب ، وفى يده مقرعة نصابها ذهب . ويركب

(١) رحلة ابن بطوطة جـ ٢ ص ٤٢ .

(٢) ص ٣٧ — ٣٨ .

قاضى القضاة صدر الجهان كمال الدين الغزنوى ، وقاضى القضاة صدر الجهان ناصر الدين الخوارَزمى ، وسائر القضاة وكبار الأعزة من الخراسانيين والعراقيين والشاميين والمصريين والمغاربة كل واحد منهم على فيل . وجميع الغرباء عندهم يسمون الخراسانيين . ويركب المؤذنون أيضا على الفيلة وهم يكبرن . ويخرج السلطان من باب القصر على هذا الترتيب والعساكر تنتظره ، كل أمير بفوجه على حدة ، معه طبوله وأعلامه . فيقدم السلطان وأمامه من ذكرناه من المشاة ، وأمامهم القضاة والمؤذنون يذكرون الله تعالى . وخلف السلطان مراتبه ، وهى الاعلام والطبول والأبواق والأنفار والصرنايات ، وخلفهم جميع أهل دخلته . ثم يتلوهم أخو السلطان مبارك خان بمراتبه وعساكره ، ثم يليه ابن أخ السلطان بهرام خان بمراتبه وعساكره ، ثم يليه ابن عمه ملك فيروز بمراتبه وعساكره ، ثم يليه الوزير بمراتبه وعساكره ، ثم يليه الملك مجير بن ذى الرجا بمراتبه وعساكره ، ثم يليه الملك الكبير قبولة بمراتبه وعساكره ، وهذا الملك كبير القدر عنده ، عظيم الجاه كثير المال . أخبرنى صاحب ديوانه ثقة الملك علاء الدين على المصرى المعروف بابن الشرايشى أن نفقته ونفقة عبيده ومرتباتهم ستة وثلاثون لكافى السنة . ثم يليه الملك نكبية بمراتبه وعساكره ، ثم يليه الملك بغرة بمراتبه وعساكره ، ثم يليه الملك مخلص بمراتبه وعساكره ، ثم يليه الملك قطب الملك بمراتبه وعساكره ، وهؤلاء هم الأمراء الكبار الذين لايفارقون السلطان ، وهم الذين يركبون معه يوم العيد بالمراتب . ويركب غيرهم من الأمراء دون مراتب . وجميع من يركب فى ذلك اليوم يكون مدرّعا هو وفرسه ، وأكثرهم مماليك السلطان . فاذا وصل السلطان الى باب المصلى ، وقف على بابه ، وأمر بدخول القضاة وكبار العلماء وكبار الأعزة . ثم ينزل السلطان ويصلى الإمام ويخطب . فإن كان فى عيد الأضحى أتى السلطان بجمل فنحره برمح يسمونه النيزة[1]. بعد أن يجعل على ثيابه فوطة حرير توقيا من الدم . ثم يركب الفيل ويعود إلى قصره » .

وكان محمد بن تغلق شديد العطف على المسلمين كلفاً بحبهم والحفاوة بهم ، فقد استدعى أحد سلالة الخلفاء العباسيين من بغداد وأحله من نفسه محل الاكرام والتبجيل . ويقول ابن بطوطة [2] :

---

(١) بكسر النون وفتح الزاى .

(٢) رحلة ابن بطوطة ج ٢ ص ٤٥ — ٤٦ .

، وكان الأمير غياث الدين محمد بن عبد القاهر بن يوسف بن عبدالعزيز ابن الخليفة المستنصر بالله العباسي البغدادي ، قد وفد على السلطان علاء الدين طرمه شيرين ملك ما وراء النهر . فأكرمه وأعطاه الزاوية التي على قبر قثم بن العباس رضى الله عنهما ، واستوطن بها أعواماً . ثم لما سمع بمحبة السلطان في بني العباس ، وقيامه بدعوتهم ، أحب القدوم عليه . وبعث له برسولين : أحدهما صاحبه القديم محمد بن أبي الشرقي الحرباوي ، والثاني محمد الهمداني الصوفي ، فقدما على السلطان . وكان ناصر الدين الترمذي الذي تقدم ذكره . قد لقي غياث الدين ببغداد ، وشهد لديه البغداديون بصحة نسبه ، فشهد هو عند السلطان بذلك . فلما وصل رسولاه إلى السلطان أعطاهما خمسة آلاف دينار ، وبعث معهما ثلاثين ألف دينار إلى غياث الدين ليتزود بها إليه . وكتب له كتاباً بخط يده يعظمه فيه ويسأل منه القدوم عليه . فلما وصله الكتاب رحل إليه . فلما وصل إلى بلاد السند وكتب المخبرون بقدومه ، بعث السلطان من يستقبله على العادة . ثم لما وصل إلى سرستي بعث أيضاً لاستقباله صدر الجهان قاضي القضاة كمال الدين الغزنوي وجماعة من الفقهاء ، ثم بعث الأمراء لاستقباله فلما نزل بمسعود آباد خارج الحضرة خرج السلطان بنفسه لاستقباله . فلما التقيا ترجل غياث الدين ، فترجل له السلطان وخدم له السلطان . وكان قد استصحب هدية في جملتها ثياب ، فأخذ السلطان أحد الأثواب وجعله على كتفه . وخدم كما يفعل الناس معه ، ثم قدمت الخيل فأخذ السلطان أحدها بيده وقدمه له ، وحلف أن يركب ، وأمسك بركابه حتى ركب . ثم ركب السلطان وسايره والشطر يظلهما معاً . وأخذ التنبول بيده وأعطاه إياه — وهذا أعظم ما أكرمه به — فانه لا يفعله مع أحد . وقال له لولا أني بايعت الخليفة أبا العباس لبايعتك ، فقال له غياث الدين : وأنا أيضاً على تلك البيعة ، وقال له غياث الدين : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما : من أحيا أرضاً مواتاً فهي له . وأنت أحييتنا ؛ فجاوبه السلطان بألطف جواب وأبره . ولما وصلا إلى السراجة المعدة لنزول السلطان ، أنزله فيها وضرب للسلطان غيرها . وباتا تلك الليلة بخارج الحضرة . فلما كان بالغد دخلا إلى دار الملك ، وأنزله بالمدينة المعروفة بسيري ، وبدار الخلافة أيضاً في القصر الذي بناه علاء الدين الخلجي وابنه قطب الدين . وأمر السلطان جميع الأمراء أن

عضوا معه اليه ، وأعد له فيه جميع ما يحتاج اليه من أوانى الذهب والفضة ، حتى كان من جملتها مغتسل يغتسل فيه من ذهب . وبعث له أربعمائة ألف دينار لغسل رأسه على العادة . وبعث له جملة من الفتيان والخدم والجوارى ، وعين له عن نفقته فى كل يوم ثلاثمائة دينار ، وبعث له زيادة اليها عدداً من الموائد بالطعام الخاص ، وأعطاه جميع مدينة سيرى إقطاعاً ، وجميع ما احتوت عليه من الدور ، وما يتصل بها من بساتين المخزن وأرضه ، وأعطاه مائة قرية ، وأعطاه حكم البلاد الشرقية المضافة لدهلى ، وأعطاه ثلاثين بغلة بالسروج المذهبة ، ويكون علفها من المخزن . وأمره أن لا ينزل عن دابته اذا أتى دار السلطان الا فى موضع خاص لا يدخله أحد راكباً سوى السلطان . وأمر الناس جميعا من كبير وصغير أن يخدموا له ، كما يخدمون للسلطان . واذا دخل على السلطان ينزل له عن سريره ، وان كان على الكرسى قام قائما ، وخدم كل واحد منهما لصاحبه ، ويجلس مع السلطان على بساط واحد . واذا قام قام السلطان لقيامه ، وخدم كل واحد منهما لصاحبه ، واذا انصرف الى خارج المجلس ، جعل له بساط يقعد عليه ما شاء ، ثم ينصرف يفعل هذا مرتين فى اليوم . .

٭٭٭

على أن الاسلام لم تتوطد أركانه فى بلاد الهند الا منذ أيام المغول[١] ، حين أخذ

(١) لا بأس من أن نشير فى هذه الحاشية إلى الفرق بين اللفظين : « تتر » و « مغول » وإلى التطورات التى داخلت كلا منهما .

فكلمة تتر تختلف بالمعنى العام باختلاف العصور : فقد أطلق هذا اللفظ على جماعتين من قبائل التتر فى نقوش الأرخون التركية Turkish Orkhon التى ترجع إلى القرن الثامن الميلادى ، كما أطلق هذا الاسم على المغول عامة أو على فريق منهم خاصة .

وفى جميع الفتوحات المغولية فى القرن الثالث عشر الميلادى كان الفاتحون يسمون بالتتر فى كل مكان نزلوا فيه ، سواء أكان فى الصين أم فى البلاد الاسلامية أم فى بلاد الروسيا وغرب أوربا . ويسمى ابن الاثير أسلاف جنكيز خان باسم التتر ، وهم التتر الأول ، وكانوا مشهورين عند قدماء اليونان باسم سكيثيا « Scythia » أو سكوتيا .

ولم يظهر اسم المغول فى عالم الوجود حتى القرن العاشر ؛ ومن المرجح أنه أطلق على تلك العشائر التى انضوت تحت لواء زعيم احدى قبائلهم ، وكان يحمل ذلك الاسم ، ثم أخذ لنفسه السيادة على بقية العشائر المتحالفة ، ومن ثم أطلق اسم البعض على الكل ( Lane-Poole : Muh. Dyn. p. 200 ) .

على أن بعض المؤرخين يرون أن لفظ « مغول » لم يكن معروفا فى خارج البلاد التى كانت تسكنها قبائل الرحالة على حدود صحراء جوبى قبل القرن الرابع الهجرى ( العاشر الميلادى ) ؛ كما يقولون =

الهندوس يأخذون الى اعتقاده . وقول الأسقف ليفروى Lefroy[1] : « لما اصطدم الإسلام ، مع ما عرف عنه من تمثيل قوى لحقيقة وجود الله سبحانه، مع عقيدة التثليث التى تقوم على الخضوع والتسليم ، تبع ذلك أن الاسلام لم ينتصر فى هذه المعركة فحسب ، بل لقد غدا البلسم الشافى الذى سرى فى شريان الحياة والتفكير فى بلاد الهند العليا . وسرعان ما أحيى التفكير وبعث فى الحياة نشاطاً وقوة ، سرياً فى كثير من العقول التى لم يسبق لها أن تأثرت بمثل هذا التأثير الفكرى » .

ولد بابر Babar فاتح هندستان المغولى من سلالة تيمورلنك وجنكيزخان سنة ١٤٨٢ م فى فرغانة التى كان يحكمها أبوه . وبعد أن طرد على يد أحد الملوك من أسرة

---

= بإحتمال اطلاق هذا اللفظ على جميع هذه القبائل ، حتى امتد نفوذ رجل منهم تسمى بهذا الاسم على جميع تلك العشائر المتحالفة . وقد انتقلت قوة من قوى المغول الحربية إلى بلاد آسيا الصغرى ، وكان أعقابهم ( الذين صاروا أتراكا بلا شك ) يسمون بالتتر السود Kara Tatar ، وقد عاشوا عيشة بدوية وقت حملات تيمورلنك فى البلاد الرعية الواقعة بين أماسيا Amasia وقيصرية . وكان عددهم يناهز الثلاثين ألفا أو الأربعين ألف أسرة . وقد نقلهم تيمورلنك إلى أواسط آسيا ، فأنزلهم بايزيد الثانى العثمانى بعض الأماكن فى بلاد كشغر وخوارزم ، وقد عاد هؤلاء التتر السود بعد وفاة تيمور إلى بلاد آسيا الصغرى واستقروا بها من جديد .

كذلك نرى فى الروسيا وشرق أوربا اسم التتر يطلق غالبا على جميع الشعوب التركية ماعدا العثمانيين .

ويرى بعض المؤرخين من المسلمين أن التتر شعب كبير من الأمة التركية ، ومنه تفرعت معظم بطونها وأفخاذها ، وهو مرادف للترك عند الفرنجة ، حتى إنهم يعدون قبائل الأتراك كافة تترا ، ومنهم العثمانيون والتركمان . وقد تناول هذا الاسم ( تتر ) بنوع من التوسع جميع المغول وبخاصة المنكوس Manchus كما كانت الحال فى الصين .

وأما كلمة تتر بالمعنى الخاص فهى اسم لشعب معين ، إذ لا تطلق إلا على سكان حوض نهر الفلجا من بلاد قزان Kazan إلى استراخان ، وكذا على سكان شبه جزيرة القرم ، وجزء من سيبريا ممن يتكلمون اللغة التركية . ويظهر أن الشعوب التى كانت مغولا فى الأصل واللغة كانت تسمى نفسها بالتتار .

وقد استبدلت كلمة تتر بعد جنكيزخان فى بلاد منغوليا وأواسط آسيا بكلمة مغل Moghul ، ولا يزال لفظ مغل مستعملا الى اليوم فى بلاد أفغانستان بين أعقاب المغول الذين لا يزالون محتفظين بلغتهم حتى الآن .

وقد أدخل جنكيزخان تلك التسمية رسميا فى بلاده . على أن كلمة Mongol لم تسد قط فى معظم البقاع الغربية من امبراطورية المغول رغم دخولها رسميا فى تلك البلاد ، كما نعلم ذلك من الرحالة الأوربيين أمثال حنا بيان الكاربينى John of Pian El Carpini ووليم روبروك William ot Rubruck وغيرهما .

(١) Arnold : Preaching of Islam, p. 259. نقلا عن كتاب Mankind and the Church, p. 286 (London, 1907).

# الأسرة التيمورية فى الهند

تيمور ١٣٦٩ — ١٤٠٤ م

شاه رخ ١٤١٤ — ٤٧
( بلاد ما وراء النهر )

جلال الدين ميران شاه
( ١٤٠٤ — ١٤٠٧ )
( العراق واذربيجان )

بايسنكر Bàysankar
+ ١٤٣٢ — ٣

ألوغ بك Ulúgh beg
١٤٠٩ — ١٤٤٩
( بلاد ما وراء النهر )

خليل ١٤٠٤ — ٩
( بلاد ما وراء النهر )

محمد
سلطان أبو سعيد
١٤٥١ — ٦٧

بابر الاول Bàbar I
١٤٥٠ — ٥٧
( خراسان )

علاء الدولة + ١٤٥٩
رقية سلطان

عمر شيخ + ١٤٩٣
( اندجان وفرغانه )

محمود ١٤٩٣ — ٩٤
( ما وراء النهر )

السلطان احمد
١٤٦٨ — ٩٣
( ما وراء النهر )

بابر الثانى ١٥٢٦
همايون ١٥٣٠
خنفاء | بابر
أكبر ١٥٥٦
جهانجير ١٦٠٥
داور بخش ١٦٢٧ — ٨
شاه جهان ١٦٢٨
مراد بخش ١٦٥٨
شجاع ١٦٥٨ — ٦٦ ( فى بنغاله )
أورنجزيب ١٦٥٩
أعظم شاه ١٧٠٧
كام بخش ١٧٠٨

لقد بذل أباطرة الدولة المغولية التى استمر نفوذها فى بلاد الهند حقبة طويلة من الزمن تمتد من سنة ١٥٢٦ إلى سنة ١٧٥٩ م ، وتداول عرش المغول فى خلالها كثير من الاباطرة العظام من الأسرة التيمورية ، جهودا صادقة فى سبيل نشر الإسلام فى هذه البلاد .

ومن هؤلاء الاباطرة العظام بابر فاتح هندستان المغولى من سلالة تيمورلنك وجنكيزخان .

أزبك الشيبانى سنة ١٥٠٤ م ، عول على إخضاع أفغانستان ، فاستولى على كابل ، وأخضع قندهار ( ١٥٠٧ م ) . وهناك كثر اتباعه وعظم شأنه ، ثم أخذ يفكر فى غزو بلاد البنجاب التى فتحها تيمور منذ مائة سنة وسبع سنين ، واستطاع أن يجمع جيشا زوده بكثير من البنادق . ولما آنس فى نفسه القوة سار على رأس أنصاره من التركان ونزل فى بلاد البنجاب .

وكانت بلاد الهند فى ذلك الوقت منقسمة على نفسها ، كما كان أهلها على تمام الاستعداد للترحيب بأى غاز يكفل لبلادهم السلامة والطمأنينة ، ويقر فى ربوعها الأمن والنظام . وسرعان ما احتل بابر لاهور ( ١٥٢٥ م ) ، ووضع أساس دولة مغولية نسبت إليه . وفى ٢٠ ابريل سنة ١٥٢٦ هزم بابر جيش ابراهيم لودى آخر سلاطين أسرة لودى ( ٨٥٥ — ٩٣٠ هـ = ١٤٥١ — ١٥٢٦ م ) وسلطان دلهى هزيمة منكرة عند مدينة بانيبات Panipat ، أشهر مدائن السهل المسمى باسمها ، وتقع على بعد عشرة أميال شمال مدينة دلهى ، وانتصر عليه انتصارا مؤزرا برغم قلة عدد جنوده الذى لم يتجاوز خمسة وعشرين ألف ، على الرغم من أن جيش سلطان دلهى كان يربو على أربعة أمثال جيشه ، وعلى الرغم من أنه كان مزودا بعدد من الفيلة لا يقل عن ألف فيل . وسرعان ما دخلت جيوش بابر مدينتى دلهى وأجرا Agra ، وأخضع شمال بلاد الهند . وبذلك امتدت فتوحه من نهر السند الى حدود بنغالة ، وتلقب بلقب أمبراطور بلاد الهندستان. ومما كتبه بابر بعد أن فتح هذا الجزء من بلاد الهند : « إن هذه البلاد تختلف تمام الاختلاف عن بلادنا . فهى أحسن هواء وأكثر خصبا ونماء ، كما أنها لا تقرن ببلدنا من حيث الغنى والثراء »(١) .

خلف بابر ابنه همايون Humayun ( ١٥٣٠ — ١٥٥٦م ) ، وكان فى التاسعة عشرة من عمره . على أنه قد حاول رغم صغر سنه أن يتم أعمال أبيه الحربية(٢) . بيد أنه لم ينجح فى فتح جوجرات ومالوا المتحدتين ، على حين تمكن الافغان فى بنغالة بقيادة شيرشاه Shir Shâh من صد همايون نحو الغرب بعد مقاومة شديدة . وتمكن شيرشاه من

(١) The Cambridge History of India (Combridge, 1928), Vol. III. P. 250

(٢) Stanley Lane-Poole : The History of the Moghul Emperors of Hindustan, pp. XI, XII.

اخضاع كل بلاد الهندستان لحكمه عدا جوجرات ، وأرغم همايون على الالتجاء الى بلاد السند أولا ، ثم الى فارس ثانيا ، ولم يتمكن من العودة الى بلاد الهند لاسترداد امبراطوريته القديمة الا بعد خمس عشرة سنة . وفى ذلك الوقت مات شيرشاه بعد أن وضع أسس النظام الادارى الذى أتمه أكبر خان فيما بعد . ومهد النزاع الذى قام بين خلفاء شيرشاه السبيل أمام الفاتح المغولى ، فتمكن من استعادة دلهى سنة ١٥٥٥م ، ومات هناك فى السنة التالية .

وكان لبابر وابنه همايون أثر يذكر فى نشر الاسلام فى بلاد الهند ؛ فقد اعتقد تيلوك شند Tilock Chand زعيم أسرة باشوتى Bachoti الاسلام طوعا واختيارا بعد ان أسره بابر ، ثم أطلقه على أثر اعتقاده هذا الدين . وقد قيل فى سبب اسلامه إن همايون سمع بجمال امرأته الفاتن وأمر رجاله فقادوها اليه من أحد الأسواق . ولكن سرعان ما أنبه ضميره وردها الى زوجها ؛ فلما عادت اليه أكبر هذا الخلق الكريم من نفس هذا المسلم العظيم ، واعتقد الاسلام الذى يحث على مثل هذه الفضائل العالية[١]

* * *

وقد ترك همايون مهمة إتمام هذه الفتوح التى بدأها لابنه أبى الفتح جلال الدين محمد أكبر خان ( ١٥٥٦ — ١٦٠٥ م ) ثالث أباطرة الأسرة التيمورية فى بلاد الهند . ولد أكبر فى أمركت Umarkot فى بلاد السند سنة ١٥٤٢ م فى المنفى ، فى عصر يعد من أعظم عصور التاريخ ، وكان هو أعظم حكام ذلك العصر . ولم تكن أوروبا وحدها فى طور النهوض العقلى ، بل كان هذا التطور قد بدأ فى بلاد الهند أيضا [٢] . ولم يكن أكبر خلال حياته الطويلة التى كانت تفيض بالنشاط العقلى يحسن القراءة والكتابة ، رغم أنه انحدر من أسرة امتازت بالثقافة ، ورغم أنه كان يعيش بين طائفة من رجال العلم ، ورغم أنه كان يعيش مع امرأتين اشتهرتا بالأدب : هما زوجه سليمة سلطان وعمته كلبدن . وربما كان سبب عدم تعلمه فى صغره راجعا إلى اضطراب مركز أبيه .

ولما بلغ أكبر سن الرشد انصرف باختياره عن التعليم ؛ ولكنه كان قوى

---

(١) Arnold : The Preaching of Islam, p. 259.

(٢) انظر لفظ أكبر فى ترجمة دائرة المعارف الاسلامية .

الملاحظة متعطشا للمعرفة ، وقد درس فرعا من فروعها على الأقل هو الدين . ولما توفى أبوه فى ٢٤ يناير سنة ١٥٥٦ م كان أكبر صبيا لم يناهز الرابعة عشرة من عمره ، فآلت الوصاية عليه الى بيرام خان بهارلو التركمانى ، فصحبه فى محاربة القوات الهندية التى انهزمت شر هزيمة ( ٥ نوفمبر سنة ١٢٥٦م) فى نفس سهل بانيبات الذى أحرز فيه بابر انتصاره المؤزر من قبل . وبذلك وجد أكبر نفسه صاحب النفوذ المطلق فى أحسن صقع فى هندستان . وسرعان ما قبض على أزمة الحكم رغم حداثة سنه ، ودخلت فى حوزته دلهى وأجرا ، وسقطت فى يده جواليور Gawalior ( ١٥٥٨ م ) ، وجونبور Jaunpur ( ١٥٥٩ م ) ، واكتسحت جيوشه مالوا Malwa وخنديش Chandesh ( ١٥٦١ — ١٥٦٢ م ) ، وسلمت إليه راجپوتانا Rajputana وجوجرات Gujarat ( ١٥٧٢ م ) ، واستطاع أن يقضى على الثورة التى قامت فى بنغالة (١٥٧٥ — ١٥٧٧م) ، ثم ضم إلى أملاكه قشمير (١٥٨٧م) وقندهار بعد ذلك بست سنوات .

وكان أكبر عاقلا بعيد النظر . فقد رأى من الحكمة ألا يتدخل تدخلا جديا فى شئون بلاد الدكن السياسية ، واكتفى بتأمين نفسه من الغارات التى كانت تهدده من ناحية الجنوب . ومن ثم نراه يتخذ مدينة برهانبور حاضرة خنديش قلعة حصينة تقف فى وجه الحملات التى توجه إلى بلاده من ناحية الجنوب . ولم يحاول أكبر فتح بلاد الدكن وضمها إلى أمبراطوريته الشاسعة الأرجاء . وصفوة القول أن أمبراطورية المغول فى عهد أكبر خان قد صارت موطدة الأركان ، تتألف من الهند العليا وكابل وقشمير وبهار وبنغالة وأريسه وجزء كبير من بلاد الدكن .

وكان أكبر خان أعظم أباطرة المغول فى الهند ، وكان عهده عهد رخاء وثقافة ورقى لهذه البلاد(١) ، لذلك وجب أن نأتى بشىء عن تاريخ حياته الخاصة ، وعن الدور الذى قام به فى تقدم هذه البلاد ورقيها . ولا غرو فان آثاره فى هذه البلاد لا تقل عن آثار شرلمان أو قسطنطين الأكبر فى بلاد الغرب ، فهو حلقة اتصال بين القديم والحديث من تاريخ مجد هذه البلاد ، إذ لا يزال ما قام به ذلك الرجل من الجهود فى تنظيم تلك البلاد

(١) راجع كتابى Stanley Lane-Poole : Mediaeval India Under Mohammedan Rule, pp. 238—288;

وكتاب The Legacy of India ( edited by G. T. Garratt ), pp. 223-55,287-304.

وتوطيد دعائم الملك فيها باقياً حتى اليوم (١)، فقد سار الانجليز على نهجه حين خلفوا أباطرة المغول فى الهند حتى إن لقبهم Kaisar-i-Hind قد انتحله ملك الانجليز لنفسه من أباطرة المغول.

وأما فى الروسيا وفى آسيا الغربية والوسطى، وكذا فى بلاد الصين فقد تفككت أمبراطورية المغول، وأخذت أشكالا مختلفة من الحكم، وأصبحت كل عناية حكوماتها موجهة إلى غرض واحد هو جباية الضرائب لتموين قصور حكامها، كما كان حال القبيلة الذهبية The Golden Horde فى جنوب الروسيا، أو فى قره قورم، أو فى بكين حاضرة أمبراطوريتهم. ومن ثم كانوا لا يتدخلون فى شئون الأهلين فيما يتعلق بأفكارهم ومعتقداتهم ما داموا يدفعون الضرائب المفروضة عليهم. ومن ثم نشطت حركة التبشير المسيحية فى موسكو وكييف؛ كما انتشر مذهب الشيعة فى فارس، وظهرت حركة قومية صينية فى بلاد الصين حيث أزال أهلها عن بلادهم نير المغول (٢).

أما فى بلاد الهند فقد كانت أمبراطورية المغول على غير هذا. والفضل فى ذلك يرجع إلى أكبر خان الذى خلق من بلاد الهند بلاداً جديدة: فقد ساوى بين الأمراء وطبقة الحكام فى المصالح المشتركة. وكان من أبرز صفات أكبر سعة العقل وحرية التفكير؛ ولا غرو فقد عنى بتخريج الرجال ذوى الكفايات المختلفة فى بلاد الهند، أيا كانت جنسيتهم أو ديانتهم. ومن ثم لم تكن أمبراطورية أكبر إسلامية النزعة أو مغولية، كما لم تكن آرية أو هندستانية، بل كانت هندية قبل كل شىء، فقد وضع نصب عينيه مصالح بلاده، فكان شديد التسامح فى الدين، ومن ثم ساوى بين المسلمين وغيرهم من أهل الملل والنحل والطوائف المختلفة فى بلاد الهند.

ولقد سر أكبر طوال حكمه ما لاحظه فى فرص كثيرة من حسن صفات أولئك الأمراء من الهندستان، وبخاصة نبل نفوسهم ووفائهم، وتفانيهم فى الإخلاص له، برغم بغض رجال بلاطه من المسلمين لهم، واعتبارهم إياهم من المخلدين فى العذاب يوم القيامة، لأنهم كانوا من أتباع «براهما» المعتقدين لمذهبه. وكان يرى أن هؤلاء الرجال ومن

(١) Stanley Lane-Poole : The History of the Moghul Emperors of Hindustan, p. XV.

(٢) H. G. Wells : Outline of History, vol. II. p. 487

نحا نحوهم يكوّنون الأغلبية الساحقة من رعاياه ، كما لاحظ كذلك أن الكثيرين من هؤلاء الهندستان ، وبخاصة من كان يوثق به ويركن إليه منهم ، كانوا شديدى التمسك بدينهم ، برغم ما كان يفيضه عليهم اعتقادهم للاسلام — دين رجال البلاط — من حطام الدنيا ، وما يسبغه عليهم من الآلاء .

وباطلاعه على المذاهب المختلفة والعقائد المتباينة زال ما كان فى نفس أكبر من الريب ، ولم يخامره شك فى أن يترك الناس أحراراً يدينون بما يريدون ، ويعتقدون ما يشاءون ، مهما كانت عقيدتهم وأيا كان دينهم ، كما دفعه إلى التسامح فى الدين مع جميع الناس ما كان يلاحظه فى كل يوم وفى كل لحظة من حرج عقول أهل الطوائف المختلفة ، وضيق عطنهم ( تفكيرهم ) وتعصبهم لمعتقداتهم أيا كان دينهم[١] .

قالت بفريدج عن أكبر : «وكان متصفاً بالصبر والمثابرة ورجاحة العقل التى تتمثل فى قوله المأثور « السلام مع الجميع » ، فحكم لمصلحة الكثرة من رعاياه ، وهم الهندوس الذين حررهم من القوانين الظالمة المهينة ، فكافأوه على هذا بما أدوا له من خدمات جليلة صادقة . . . ونشر مذهباً منتخباً فى التوحيد سماه : « توحيد إلهى » . ويظهر أن هذا المذهب كان قائماً على الاعتقاد بوجود الله ، ذلك المذهب الذى يشترك فيه جميع معتنق الأديان التى بحث فيها . وكان أكبر يعنى أول الأمر بالفرق الإسلامية نفسها ؛ ثم مل مما اشتمل عليه جدلها . وتزوج امرأة راجپوتانية هى أم سليم . ودرس البرهمية على كهنة علماء ، وترجم بعض الكتب المقدسة من الهندستانية . وكان لحرية التفكير الصوفى سلطان كبير على بطانته ، كما أنه قرب إليه الفرس . . . وقد حاول أن يستخلص الحسن من الآراء المختلفة لغاية واحدة هى الوصول الى الحق » .

يقول الدكتور إميل شمدت Emil Schmidt[٢] عن أكبر : « وكان ابنا لأحد الأباطرة (همايون) الذى هرب من الحرب . وقد ولد فى الصحراء ، ونشأ فى بيئة محدودة فرن على

(١) H. G. Wells : Outline of History, vol. II. p. 488

(٢) The World's History (ed. by Dr. H. F. Helmolt, Lond. 1904), Vol. II. Chap. IV. pp. 423—436

صعاب الحياة ومرها منذ طفولته . وقد حبته الطبيعة بنية قوية مكنته من احتمال الآلام والشدائد . ولا عجب فقد أصبح كلفا بالرياضة البدنية مولعا بها ، كما أغرم بالصيد ، وبخاصة بالمخاطرة فى صيد فرس الوحش والفيلة وذبح النمر المخيف . وقد سار أكبر مايقرب من مائتين وعشرين ميلا فى يومين ليصرف « راجاجودپور Raja of Jodphore» عن عزمه على إحراق أرملة ابنه المتوفى . أما فى المعارك الحربية ، فقد كان أكبر يظهر أقصى ضروب البسالة والاستماتة فى الدفاع ، وكان يقود جنوده بنفسه ، ويتقدمهم فى أخطر المعارك وأحرج المواقف ، تاركا لقواده لعبه الخفيف من أعمال الحرب . وكان فى كل انتصاراته مثال الإنسانية والرحمة ، كما كان يحول دون ارتكاب القسوة والعنف على أعدائه . وقد استطاع أن يوجد من تلك العناصر المتنافرة المتعادية شعبا قوياً ذا يسر ورخاء ، وذلك بفضل ما اشتهر به من مقت المحاباة التى تفرق بين الأهلين وتولد الانتقام والبغضاء بينهم ، بفضل ذلك التسامح مع مخالفيه فى الدين ، وعدم تحيزه لجنس دون جنس ، وذلك من شأن عظماء أبطال التاريخ الذين تولوا العروش وأقاموا الدول . وكان شديد الدأب على القيام بالاصلاحات الداخلية فى بلاده فى وقت السلم . وقد أتاح له اعتداله فى ملاذه وقصده فى نومه وتوزيعه وقته توزيعا دقيقاً ، الفرصة لتكريس نفسه على العلوم والفنون بعد فراغه من النظر فى شئون بلاده . وقد اتخذ أصدقاءه وجلساءه من الأشخاص البارزين والعلماء النابغين الذين زانوا الحاضرة التى بناها لنفسه (١) » .

وكان أكبر يعقد فى مساء كل خميس مجلسا للبحث فى الأدب والفلسفة . وكان أخلص أصدقائه من هؤلاء رجلين هما فايظى وأبو الفضل ، وكانا من أشد الناس ذكاء . ولا غرو فقد ولدا من رجل اشتهر بحرية الفكر . وكان أكبر هذين الأخوين عالما مشهوراً فى الأدب الهندى ، فاستطاع أكبر بمعونة هذا الرجل وإشرافه ترجمة أهم المؤلفات السنسكريتية الى الفارسية .

أما أبو الفضل ، وكان أيضاً من أخلص أصدقاء أكبر ، فقد كان قائدا وسياسيا وإدارياً . وإليه وإلى نشاطه بوجه خاص تدين مملكة أكبر باستتباب الأمن والنظام . يقول ولز : « إن أكبر كان ملكا عظيما ، لكنه قد عاش كما يعيش جميع الناس

---

H. G. Wells : Outline of History, vol. 11. p. 488. (١)

فى حدود بيئته فى ذلك العصر ، متأثراً بأفكار من يحيط به إلى حد بعيد ، كما كان أيضاً بحكم بيئته بعيداً عن تلك النهضة الفكرية التى قامت فى أوربا . ومن ثم لم يقف على ذلك النهوض القومى عنــد أمم الغرب ، كما لم يقف على طرق التربية التى قامت بها الكنيسة ونشرتها فى البلاد الغربية . وقد هدته نشأته الإسلامية الأولى وعقليته التى اكتسبها من بلاده ، الى أنه لا يمكنه أن يوجد من بلاد الهند أمة عظيمة قوية ، ما لم توحّد بين أجزائها الأفكار المشتركة القائمة على أسس دينية . على أنه كان يجهل الطريق إلى إيجاد تلك المرحلة وتقويتها ، بانشاء المدارس العامة ونشر الكتب وادخال النظام الجامعى القائم على حرية الفكر ، ذلك النظام الذى لا تزال الأمم الراقية متأثرة به إلى اليوم » . . . . وقد حقق أكبر لبلاد الهند نظاماً عاما للتعليم ، فقد فتح كثيراً من المدارس الإسلامية وأخرى هندستانية . ومن ثم يقول Wells [1] « كان عمل أكبر فى اصلاح شئون الهند أكثر من علمه ، فقد حقق لتلك البلاد من شئون الإصلاح أكثر مما قام به البريطانيون الذين خلفوه فيها ، فإن بعض الحكام البريطانيين قد قلده فى أبهته وعظمته ، وفى سرادقاته الفاخرة ، وفى قصوره الملوكية . ولكن أحداً منهم لم يجاوز هذا المظهر السياسى لهذا الملك التركانى فى العصور الوسطى ، فيحاول تحقيق ما كان يرمى إليه من ايجاد نظام عام للتعليم ، ذلك النظام الذى كان ضرورياً جداً لبلاد الهند قبل أن تلعب دورها الهام فى تقدم الإنسانية ونهوضها » .

وكان لسياسة اللين والتسامح التى سار عليها السلطان أكبر خان أثر عظيم فى جذب قلوب الهندوس وانتشار الإسلام الذى كان الناس يسارعون اليه بوحى من ضمائرهم ، وبسبب اعتقادهم أنه هو الدين الحق [2] .

وفى عهد أكبر خان دخلت قشمير تحت نفوذ دولة المغول ، ومن ثَمّ قوى نفوذ المسلمين فى هذه البلاد ، ثم وفد عليها عدد كبير من رجال الدين واستقروا بها . ويسكن قشمير عدد كبير من المسلمين يربو على ٧٠٪ من مسلمى الهند جميعاً .

ويعزى انتشار الإسلام بين أهالى هذه الولاية بهذه الكثرة إلى حركة الدعاية المتصلة

---

(١) H. G. Wells : Outline of History, vol. 11. pp. 489-90

(٢) Arnold : The Preaching of Islam, p. 259.

التى بدأها وقام على تنفيذها الدراويش الذين وجد بينهم بعض دعاة الاسماعيلية من قلعة ألموت التى أسسها الحسن الصباح على مقربة من بحر قزوين فى القرن الخامس الهجرى ( الحادى عشر الميلادى ) . وكان صدر الدين أول من اعتنق الإسلام من ملوك هذه البلاد ، وكان إسلامه على يد أحد الدراويش — ويسمى بلبل شاه — وذلك فى القرن الرابع عشر الميلادى .

ويرجع ازدياد انتشار الإسلام فى هذه البلاد فى أواخر هذا القرن إلى سيد على الهمذانى الذى هرب من مدينة همدان مسقط رأسه بعد أن أثار غضب تيمور ، ولجأ إلى قشمير . وقد صحبه سبعمائة من أتباعه وأسسوا لأنفسهم أماكن للتنسك ، فأصبحت هذه الأماكن مراكز لنشر الاسلام بين أهالى هذه البلاد .

وفى أواخر القرن الخامس عشر الميلادى ، وصل من بلاد العراق أحد دعاة المذهب الشيعى — ويسمى مير شمس الدين — إلى قشمير ، واستطاع بمعونة تلاميذه ومريديه أن يحول كثيرين من أهالى هذه البلاد إلى الاسلام . وكان لتجار قشمير من المسلمين أثر كبير فى نشر هذا الدين بين أهالى هضبة التبت(١) .

كان أورانجزيب ( ١٦٥٩ — ١٧٠٧ م ) سادس أباطرة المغول فى بلاد الهند . وفى عهد شاه جهان ولى بلاد الدكن بين سنتى ١٦٣٦ و١٦٤٣ م ، فعمل على تنظيمها ، وقسمها أربعة أقسام هى : دولة آباد ( بما فيها أحمد نجار ) ، وخنديش ، وتلنجانة ، وبيرار . على أن اهتمامه باتمام اصلاحاته قد ضعف بسبب ذلك النزاع الذى قام قبل توليته عرش دلهى فى سنة ١٦٥٩ — ولم تبدأ سلسلة فتوحاته فى الجنوب الا فى سنة ١٦٨١ ، أى قبل وفاته بست وعشرين سنة — ومع أن جيوشه اكتسحت كافة أرجاء الدكن واستولت على كثير من قلاعها ، فقد وقف فى وجهه ذلك الإقليم الجبلى الذى يقطنه المارانيى Marathas الأقوياء الأشداء ، الذين لم تلن قناتهم والذين لم يكن من سبيل لإخضاعهم .

وفى عهد أورانجزيب الذى اشتهر بغيرته على الإسلام ، زاد حماس راجات الهند لهذا الدين ، وأخذوا يناوئون الديانة الهندوكية مناوأة شديدة . وقد دخل فى الإسلام

---

(١) Arnold : The Preaching of Islam, pp. 191—2.

كثير من أهالى الجهات الشرقية من مقاطعات البنجاب وجوجرات القريبة من دلهى ، وفى جهات كونبور Cawnphore وشمالى الهند(١).

وفى عهد أورانجزيب تحول راجا كشتوار Rájá Kichtwàr على يد سيد شاه فريد الدين إلى الإسلام ، ثم تبعه أكثر رعاياه ، ولا نزال نرى فى قشمير بعض راجات ينتمون إلى أسلافهم الذين تحولوا إلى الإسلام فى ذلك الوقت (١) .

***

وبعد موت أورانجزيب سنة ١٧٠٧ م أخذت امبراطورية المغول ببلاد الهند فى الانحلال ، وجاء بعده أباطرة ضعاف ، فى الوقت الذى كانت فيه قوات السيخ Sikh والمراتسى قوية ناهضة . وكانت غارات نادزشاه ، واحمد درانى Durrani ( ١٧٤٨ و١٧٥٧ م ) علامة تنذر بقرب سقوط امبراطورية المغول . ولم يمض خمسون عاما على وفاة أورانجزيب حتى غدا المراتسى أصحاب النفوذ المطلق فى جنوب بلاد الهند ، اللهم الا هذا الجزء الذى تسكنه أسرة النظام الجديدة التى شقت طريقها فى جوجرات ، وامتد نفوذها الى دلهى ، ولم يعد أهل راجبوتانا يعترفون بسيادة المغول . كما امتدت سيادة السيخ على البنجاب التى كانت فى يد الأفغان ، واستقلت أسرات على مقربة من اجرا ، وفى بنغالة . ولو أن الأجزاء الصغيرة فى قاليقوط Calcutta وبمباى ومدراس لم تكن تنبىء عن المستقبل العظيم الذى خبأه القدر لشركة الهند الشرقية العظيمة . هذا وقد جعلت موقعتا بلاسى Plassy (١٧٥٧م ) وبكسار Buxar ( ١٧٦٤م) من الامبراطورية المغولية شبحاً أجوف لايخشى له بأس ، ولو أن سيادة المغول ظلت حتى سنة ١٨٥٧ م . وكان الأباطرة الثلاثة الأخيرون خاضعين للعرش البريطانى ، يعتمدون على معونته المادية . ومات بهادر الثانى ، بعد أن سقط عرشه المتداعى لاشتراكه فى العصيان منفيا فى رانجون سنة ١٨٦٢ م .

وقد بذل المغول فى الهند فى أواخر عهدهم جهودا متصلة فى سبيل نشر الإسلام ، وساهم فى هذه الجهود حيدر على وتيبو سلطان Tipu Sultan اللذان قاما بنشر الإسلام فى بلاد الدكن . فى سنة ١٧٨٨ م أصدر تيبو سلطان المنشور الآتى على سكان ملبار :

---

(١) Arnold : The Peaching of Islam, p. 292.

« بعد انقضاء أربعة وعشرين عاما على غزو بلادكم ، أرى أنكم لا تزالون على عصيانكم وتمردكم ، كما أنكم لازلتم مصـــدر القلق والاضطراب والحروب التى ذهب ضحيتها واستشهد فيها عدد غير قليل من رجالنا . على أنى مستعد لأن أتناسى الماضى . ولقد حان الوقت الذى يجب أن تلين فيه قناتكم ، ويسلس قيادكم ، وتعدلوا عن خطتكم ، وتلزموا السكينة والهدوء ، وتؤدوا ما عليكم من الضرائب على نحو ما يؤديه الرعايا المسلمون . بيد أنى سوف آخذكم بجريرتكم ، ولن أتوان فى تأديبكم إذا لم تقلعوا عن عاداتكم المستهجنة ، وهى أن تعاشر المرأة منكم عشرة رجال ، وأن تتركوا أمهاتكم وأخواتكم فى حمأة الفجور كما تفعل الوحوش الضارية ، مما تقشعر منه الأبدان وتشمئز النفوس الأبية . لذلك أرى لزاما علىّ أن أنهاكم عن هذه العادات الأثيمة ، وأنصح لكم بأن تأخذوا بأهداب الفضيلة التى هى من صفات المجتمع الإنسانى . وإذا عصيتم أمرى وخالفتم نصحى ، فإننى أقسمت قسما حقاً غير حانث فيه ولا آثم أن أحملكم على الصراط المستقيم ، وأن أنيلكم شرف الإسلام . وسوف أحمل كبيركم وصغيركم على الاعتراف بحكومتى (١) » .

وسرعان ما أعد تيبو سلطان عدته وأخذ لهذا الأمر الخطير أهبته ، وجرد فى سنة ١٧٨٩ م جيشا جراراً يتألف من عشرين ألف مقاتل ، للقضاء على الكفار من أهالى ملبار ، وتوعّدهم باحراق دورهم ، فاعتقدوا الإســلام وأكلوا لحم البقر الذى كانوا يقدسونه حسب طقوسهم القديمة . على أنه لم يلبث أن داهمته الجيوش الانجليزية فى أواخر سنة ١٧٩٠ م ، وهو لا يزال ينعم بهذا النصر المبين ، ولقى حتفه فى أثناء حصار سرنجاباتم Seringapatam . وسرعان ما أنكر البراهمة والنيار Nayars الدين الاسلامى ورفضوه ، وعادوا الى دينهم القديم ، حتى إن عدد المسلمين فى الجهات التى يسود فيها النفوذ الإسلامى ، مثل دلهى ، لا يكاد يعدو العشرة فى المائة من السكان (٢) .

من ذلك نرى أن الديانة الهندوكية لم تضعف بسبب دخول الإسلام فى الهند . على أن هؤلاء الهندوكيين ، وإن كانوا قد رفضوا الإسلام ، فانهم مع ذلك لا يزالون

(١) Arnold : The Preaching of Islam, pp. 261—62.

(٢) Ibid. p. 262.

يحتفظون ببعض طقوسه، كدفنهم الموتى وفق العادات الإسلامية بدل إحراقهم بالنار. واتخاذ أسماء إسلامية مثل « غلام ».

بيد أن انتشار الاسلام فى بلاد الهند لا يرجع إلى ازدياد نفوذ المسلمين السياسى وبسط سلطانه وحده، فإن هنالك جهات، كجنوب الهند وشرق بنغالة، كانت فيها قوة الإسلام السياسية فى غاية الضعف. وانما يرجع انتشار الاسلام فيها إلى جهود دعاة المسلمين. ولاسيما جنوبى الهند والدكن والسند وجوجرات وبنغالة. وترجع المحاولات التى قام بها المسلمون لنشر الاسلام فى الهند الى جماعة المسلمين الذين هربوا من بلاد العراق ولجئوا الى هذه البلاد، كما ترجع أيضاً إلى تغلغل النفوذ الاسلامى عن طريق اتصال سكان ساحل الهند الجنوبى الغربى بتجار العرب والفرس، الذين اشتغلوا بتجارة التوابل والعاج بين الشرق وأوربا. وكان من أثر تردد هؤلاء التجار على هذه البلاد أن نشأ من سكانها خليط يجمع بين الدم الهندى من ناحية والدم العربى أو الفارسى من ناحية أخرى.

كما نشأت علاقات ودية بين هؤلاء التجار من المسلمين وبين الحكام الهندوكيين، الذين مدوا لهم يد المساعدة، وتعهدوا بحمايتهم وحماية تجارتهم، تشجيعا لهذا النشاط التجارى، وما أصابه أهل هذا الاقليم من ربح وفير وثروة ضخمة وانتعاش اقتصادى ملحوظ، حتى لقد عومل الوطنيون من الهنود الذين اعتقدوا الاسلام بدون اعتبار للطبقة التى ينتمون إليها، معاملة تنطوى على الاحترام الذى كان يعامل به تجار المسلمين الوافدين على هذه البلاد (١).

ولم يكن انتشار الاسلام فى بلاد الهند راجعاً إلى هؤلاء التجار فحسب، بل ساهمت طائفة من فقهاء العرب ومفكريهم فى نشر هذا الدين (٢). فقد بلغت نسبة المسلمين على ساحل ملبار فى أوائل القرن السادس عشر نحو خمس السكان، ولا يزالون يتميزون عن غير المسلمين باطالة لحاهم وغطاء رأسهم. ولا يعزب عن بالنا ما كان للافراد من أثر

(١) Arnold : Ibid, pp. 263—4.

(٢) Ibid, pp. 265 et seq.

فى نشر الاسلام فى بلاد الهند، وما قام به شاه رخ البهادورى الشيزرى فى سنة ١٤٤١ م من محاولة نشر هذا الدين فى قاليقوط . هذا الى ما كان للبعوث الاسلامية التى اشتهر رجالها بالعبادة والورع والتقوى وعمل الخير من أثر فى هداية كثير من الهندوكين إلى الإسلام .

ومما ساعد أيضا على دخول كثير من الهندوكين فى الاسلام ، أنه كان إذا نبذ أحد هؤلاء الهندوكيين عشيرته وطردته أسرته من حظيرتها ، جذبه الإسلام إليه ، وساوى بينه وبين سائر المسلمين ، وسمح له بالاندماج فى الطبقة الاجتماعية التى كان ينتمى إليها وهو على دينه القديم . وإن هذا التحول كان يتبعه فى العادة إيمان قوى بهذا الدين وعقائده . ولو أن أمبراطورية المغول استمرت فى حكم بلاد الهند لتحول كثير من أهالى هذه البلاد، وبخاصة أهالى راجبوتانا Rajputana وبنكلخند Bunkelkhand الذين لم يقتصروا على احترام شيوخ المسلمين ، بل عهدوا بتعليم أطفالهم إلى معلمين من هؤلاء المسلمين ، وذبحوا الحيوانات على النحو الذى يذبح به المسلمون ، واشتركوا فى أعيادهم ، وتزيوا بأزيائهم ، وصلوا كما يصلى المسلمون المتمسكون بشعائر دينهم .

وإن ما أظهره أمراء المسلمين فى بلاد الهند من روح التسامح قد حفز هؤلاء الهندوكين على الدخول فى الإسلام ، بخلاف ما كانت عليه الحال فى عهد الأسرات المغولية التى عملت على نشر هذا الدين بما لها من نفوذ وسلطان . ومع ذلك لم يكن لهذه السياسة الأثر المرجو ، بل إنها — على العكس — قد أدت إلى توحيد كلمة الهندوكين وأدت إلى وقوفهم فى وجه أمرائهم المسلمين .

كذلك كان الهندوكيون يشتركون مع المسلمين فى شعائرهم الدينية ، فيذهبون ذرافات ووحدانا لزيارة أضرحة الصالحين ، وينذرون النذر علهم ينجبون أولاداً . فاذا ما استجيب دعاء أحدهم وقضيت حاجته وأولد ولدا ، بر بقسمه ، واعتنقت أسرته الإسلام(١) .

ومما ساعد على دخول كثير من الهندوكين فى الإسلام ، أنه إذا تبنّى أحد أغنياء

(١) Arnold : The Preaching of Islam, pp. 288–9.

المسلمين طفلا هندوكيا ، نشأ هذا الطفل نشأة إسلامية . كما أن النساء الهندوكيات كن يتحولن إلى الإسلام بزواجهن من المسلمين . وقد حرص المسلمون على اجتناب كثير من أطفال الهندوكيين إذا فقدوا آباءهم وأمهاتهم وقت انتشار المجاعات ، ويعملون على تحويلهم إلى الإسلام . ويرى سير توماس أرنولد (١) أن نظام الطبقات فى بلاد الهند ، ومايسوده من خلافات ، قد ساعد على ازدياد نفوذ الإسلام فى هذه البلاد ، كما أدى إلى تحول عدد كبير من الهندوكيين إلى هذا الدين .

(١) The Preaching of Islam, p.290.